

عروس حبر الجبل المزمور الصغير

للاستاذ دريبي خشبة

أعراف الموج في النيل نحو الشمال ... وها هي مصر كلها تحمق
مُفغضبة نحو الشرق ، ساخرة مستهزئة بأعدائها الكلاب الذين
طالبوا حطمهم في ديارهم ، وألبسهم لباس التل والخوف ، فلما
صفحت عنهم إذا هم ينفرُونَ !

واستيقظت حَتَّاسُر ، عروس فرعون ، وفتحت نافذتها
للتشهد المنظر الرائع ، ولتري إلى زوجها الشاب يستعرض الجيش
وقد استوى فوق جواده الأبيض المختال ، وراح يتهادى بين
صفوف الجند ، كأنما يرسل من عينيه المصريتين سحراً في قلوب
المحاربين ، ومن فوق رأسه تاج الملكة المتحدة يشع سناه في
غبشة الصباح ، فكانما يملأ الآفاق ذَهَباً

لقد كانت ليلة طوبلة دجوجية ، تلك الليلة التي قضتها حَتَّاسُو
بين وصيفيتها النائمتين الحالمتين ، تفكر في ملكها الذي أقبل في
الساء يودعها ويتزود منها لرحلة الغد إلى بلاد الحيين ... لقد
كانت تراه ما يزال جالساً إليها يتحدثها ويسامرها ، ويرسل عينيه
الحيتين في عينيه المذعورتين ، ويرسل معهما روحه فتعانق
روحها ، وقلبه فيتحسس قلبها ، وشعوره الفائر ، فيتحد
بشعورها ... ثم تذكر رنين صوته العذب الموسيقى يترقرق في
أذنيها فيملؤها بالأحلام ، ورنين قبلاته الحارة الطاهرة تهيمهم على
فما الشئيت الحلو فتحمل إليه سرّ النمر الإلهية التي لا غَوْل
فيها ولا تَأْنِيم ... فتبكي ... ! ولم لا ... ؟ أليس من البكاء بكاء
تحمل دموعه رسالة الروح فتذهب بها إلى الله اللطيف العلي ،
فتكون عنده صلاة ليس مثلها صلاة ! ! ذلك بكاء الحيين ...

ورحل فرعون الشاب بأساطيله وجنده
ولكن طيبة العظيمة لم يدم لها هذا الصفو الجميل الذي ودعنا

استيقظ أهل طيبة في هَدَاة الفجر الأول من أيام الربيع
على أصوات طبول فرعون التي أخذت تدوى في الأفق ، وترن
في ظلال المعابد ، وتنسكب مع الشفق الوردي في أذني أمون رع^(١)
وترن فوق مسلات الكرنك مع هُورس^(٢) الكريم

واستيقظت الآلهة كلها تبارك الجيش ، وتحرس صاحب
الجلالة وتغسل الأعلام المصرية المنشرة بدموع الندى ... تلك
الدموع المطرية التي كانت تترقرق من أعين الربيع مما هزه من
فرح ، وما سوى فيه من شباب فرعون

واهترج^(٣) العظيم تحت الأسطول اللّجيب الذي صدحت
موسيقاه لمتزج بموسيقى الجيش ، فتدفق في قلوب الشعب
المرزجج فوق العُدوتين^(٤) أحياناً من الحماسة ، ونورانية من
الحب ، وقُدسية من الولاء ، تمنعد فوق هامة الملك هالة من
إعزاز رطايه ، وإكليلاً من وفاء الأمة النبيلة صاحبة المجد ...
وَيْلٌ للحيين ! !^(٥)

لقد أعترام بمصر أن رأوا على عرشها الملك الشاب تحتمس
فقرتهم الأمانى ، وهاجت في قلوبهم الأحقاد القديمة ، ووسوست
لهم شياطينهم أنها الفرصة النادرة التي يدركون بها ما لم يدركوه
في عهد آبائهم ، فتألبوا ، وثأروا ، وجموا الجموع لفزومصر

ولكن ... طاشت أحلامهم ... ففوق عرش النيل ملك ،
وفي مصر أمة ، وقلوب الوجهين قلوب فياضة بحب فرعون
يوجهها أنى يشاء ... وها هو ذا الجيش تنتظم صفوفه كالبنيان
المرصوص يشد بفضه بعضاً ، وها هو ذا الأسطول يتهادى على

(١) أمون إله طيبة ورع إله منف وأعداء فكورنا إلهاً واحداً بهذا الاسم

(٢) هورس هو ابن آزوديس وكان يرمز له بالصقر

(٣) حابي هو اسم النيل وربه في الميثولوجيا المصرية

(٤) عدوة النيل شاطئه

(٥) ألد أعداء مصر في الزمن القديم

تحت بنوده ملكها... ذلك أن أم العروس المصون شوهدت في فجر اليوم الثاني راكبة في المبد الكبير أمام المذبح ، بين يدي أمون رع ، تبكي وتصلى ، وتتوجع وتتصدع وتشكو إلى الله بنها الذي لم يعرف أحد سببه

وقد وقف الكهنة حولها في ذهول وخشوع ، ولم يجسر أحد منهم أن يسألها عما ألم بها ؛ بيد أن رئيس المبد تقدم إليها آخر الأمر في أدب وضراعة ، وربت قليلاً على كتفها ، ثم مديده الواهية العروقة إلى يدها المرتجفة المحزونة ، فهضت وهي لا تكاد تمى مما يعصف بها من هم وشجو...

وسار الكاهن الأكبر بين يديها إلى صومته ؛ وكان الكهنة يتلون أوراد الفجر وأنشيد الصباح فهتت جوانب المبد بحسن إنشادهم وروعة ترتيلاتهم ، فتهمر دموع الأم ، وتقف أمام هذه الصوذة ، وبين ذلك التمثال بأسطة ذراعها ، وداعية الألهة ، متمتعة بكلام خفى غير مفهوم...

— ماذا يا ابنتى ! فيم يجيئك في هذه الساعة من الفجر ؟ وفيم هذا البكاء وتلك الصلوات ... ؟ تكلمي ... أأست أبك ؟ — تباركت أيها الأب ... ولكن ليحضر نائب صاحب الجلالة ، فالخطب جليل ... وتكاد نفسى تتصدع ...

— نائب صاحب الجلالة ؟ أى خطب جليل يا أربابى ؟ ! أمون رع ! ! لطفك ياربى المقدس !

وأرسل الكاهن الأكبر رسوله إلى نائب الملك فجاء مهرولاً في ثياب النوم ، وجعل يلهث من الفزع والتعب ، ويسأل الكاهن فيم أرسل إليه ، وماذا أصاب والدة الملكة ... فأشار الكاهن إلى الأم الباكية ، فالتفت إليه مذهولة وقالت :

— ابنتى ! ابنتى يا نائب صاحب الجلالة !

— الملكة !

— بل العروس !

— ماذا ؟ ماذا أصابها ؟

— لا أدرى ... ! إنها ليست في القصر ! لا هى ،

ولا وصيفتها !

— هل قششت النرف ؟

— كلاهما !

— والحديقة ؟

— وطيبة جميعاً ...

— جريرة ! إن في الأمر جريرة ... لا بد من تبليغ مولاي !

وكاد النائب المسبوه يرسل صيحة ذعره في المبد ، لولا أن أشار إليه رئيس الكهنة ، فصمت ... وقال فتاح الكاهن الأكبر :

— آحسب أن من الخير أن نحمل هذا النبا المروع إلى ملك ذهب أمس ، وأمس فقط ، على رأس جنوده ليؤدب أعداءه ؟ لا ، لا ، ليس هذا عندى برأى ... إنها أول حرب يشنها الملك ، فكيف تُثنيه بمثل هذا عن عزمه ؟ !

— فا الرأى إذن ؟

— اهدأ يا نائب صاحب الجلالة ، فنحن بين يدي أمون ،

ويوشك رع أن يهدينا بسنانه وولاء حكته

ويرى الكاهن الأكبر أول شعاعة من شعاع الشمس تدخل من كوة الشرق في الصومعة ، فيأمر المؤذن فيؤذن بصلاة جامعة ، لرع ... رب المشرقين !

وينظم الكهنة صفوفاً أمام المذبح الكبير ، ويبدأ رئيسهم إنشاده ، فيأخذون في ترتيل جميل ، وتركع (تى) ، ويركع آنيو ، ويصليان مع الكهنة ... حتى إذا فرغ الجميع من صلواتهم خلا رئيس المبد إلى آلهته ، ثم أقبل على نائب الملك وأقبل على تى بوجه مشرق متهلل وهو يُسبِّح ويقول : « بخير ... »

« بخير ؟ ! وأى خير في أن تحتق عروس فرعون ، فإذا آب من حربيه لم يجدها ؟ ومنذ الذى يستطيع أن يلقاه حين يصل إلى طيبة فلا تكون عروسه أول من تلقاه بها حاملة له باقة ناضرة من أزهار اللوتس القدسة ؟ وأسفاه عليك يا ابنتى ؟ وأسفاه على الأحلام الضائمة ! »

وهكذا راحت تى تندب حظها ، وتندرف الدمع من أجل ابنتها ، وكلما زارها كبير الكهنة فواساها لم تلق بالها إليه ،

حتى اسأقتت نفسها أنفسا، وحتى براها الحزن، وشقها
الوجد، وأوهاها طول البكاء

وكتبوا الخبر حتى لا يصل إلى فرعون فيفت في عضده،
ويوهي من جلدته، ويكون سببا فيما لا يوده له إلا عدوه

ثم أرسل تحتمس رسالة إلى عروسه أخذتها أمها، فلما
فَضَتْها، انهمرت عينها بالدموع الحار من أجل حناسو، التي
أرسل الملك يجبرها أنه اجتاز حدود مصر إلى بلاد الأعداء،
وأنه يقبلها على هذا البعد الشاسع بينهما، ويسألها أن تصلي له
وتركع بين يدي آمون رع من أجله... ومن أجل مصر... التي
يقتديها الجميع، ويميش من أجلها الجميع، ويموت في سبيلها الجميع
واضطرت الأم المحزونة أن تزور رسالة نبئت بها إلى صاحب
الجلالة على لسان عروسه تشكره فيها وتتمنى له الخير والنصر؟
وكانت الرسالة جافة خالية من روح الحب الذي يعلو على صاحبه
ويوحى إليه، ويُنضِرْ طرسه بألوان الورد، ويمطره بأفقاسه...
فلما قرأها تحتمس حاجت الرساوس في قلبه، وإن يكن قد تجلد وسبر
ولقي فرعون أعداءه...

وكانت جيوشهم تفر السهل والجبل، وقنابلهم^(١) ترجم
البر والبحر، وهم على كثيرهم سابعون في دروعهم مُقْسِنُونَ
في حديدهم، تصهل خيلهم فتجاوب أصداؤها في جنبات الوادي
وترغى قشقى عنان السماء... وقد آنس الملك ضعفاً وقلة في
ميسرتهم فاتقض عليها بميمته، واستطاع بعد عناء أن يزحزحها،
لكن المدد الذي وصل من وزراء المجهتتين أفسد على فرعون خطته،
فتقهقر قليلا ليأمن التفاف الأعداء، الذين غرهم نكوص ميمنة
مصر، فهجموا بجمعهم كاهها؛ وحى وطيس القتال في القلب
واليسرة والميمنة... ونار النقع... وارتفع أنين القتلي في كل
مكان... وانطلق عزير النيل بصيح في جنوده ويحرضهم ويُثبِت
أقدامهم، ويذكرهم بمجد بلادهم... وكانت كلماته تثير فيهم
الحمية، وتلهب صدورهم بنار الوطنية، فيهجمون غير مبالين،
وينقضون على أعدائهم غير هيايين، حتى زلزلوهم عن صراكرهم.
وزادهم حماسة أن رأوا قلب الحسين ينتفض على قاده، ويولي

(١) القنابل فرق الجيش

بعض عساكره الأديار، فالتحموا وراءهم الحلبة وأوقموا فيهم
حتى أثنوهم... وأبصرت ميمنة الحسين وميسرتهم ما حل
بالقلب فهتوا، وخارت عزائمهم، وساعد ذلك المصريين فاتقضوا
عليهم كالسواعق من كل مكان...

وظن المصريون أنهم ظهروا على أعدائهم فخلوا بتصايحون
ويهتفون، ويهنيء بعضهم بعضاً، والعدو ما يزال صامداً في مكانه.
وظن قائد الحسين إلى ذلك فبدأ له أن يذهب في كوكبة من
أشجع فرسانه فيلتف بمركز القيادة في صفوف المصريين الخلفية
وسرعان ما أنفذ الفكرة

وكادت حيلة القائد تنجح، لولا أن فطن إلى ذلك أحد
فرسان المصريين فصاح بيمض شباط الجيش قائلاً: «أيها الجنود
دافعوا عن ملككم... الحثيون يشكون أن يمدقوا به».
وتلفت الضباط فرأوا كوكبة الحسين مسرعة إلى مركز القيادة
فصاحوا بجنودهم، وانطلقوا في إثر الفارس الذي نهيم
فاشتبكوا مع الأعداء في ملحمة هائلة، أبلى فيها بلاءً حسناً...
وهرب الحثيون... ولكن الفارس المسكين سقط جريحاً،
وانبسط من فوق جواده بين القتلى المديدين... وتقدم إليه
فارسان شجاعان فحملاه إلى المسكر حيث ضمدا جراحه وجلسا
عند سريره يواسيانه

واتصر فرعون مصر، وطهر الأرض من رجس الحثيين!
وعاد إلى معسكره ففتح الفارس الجريح أسى ألقاب الجيش
ورفمه إلى مرتبة قائد، ثم ذهب إليه بنفسه فأبدى له إعجاباه
بشجاعته وحسن بلائه

وذاعت أنباء النصر في مصر ففرح رعايا فرعون، وراح
الجميع يقيمون معالم الزينة على مساكنهم ومناجرهم، وانطلقت
زرافات الكهنة ترتل أوراها في شوارع المدن، وبدت طيبة
في أبهى حللها، ورفرت الأعلام على الهياكل ودور الحكومة،
وتدقق حاجي بالبركات في أرجاء البلاد
وذهب نائب الملك وفي مميته كبير الكهنة للقاء صاحب
الجلالة على حدود البلاد، وليجنباه الخبر المفزع الهائل... خبر

عينها ، رأت صاحب الجلالة منحنيًا فوق وجهها ، ودمعة غالية
تترقق في مقلتيه ... فهبت من سريرها باسمة سميذة ، وأنشأت
تقول :

— أهني مولاي بالنصر الحاسم

وتحدرت الدموع من عيني الملك ، ثم قال لعروسه :

— ماذا بك يا حناسو ؟

فقلت له :

— لا شيء ! جروح هينة من معركة مجيدو ! !

— معركة مجيدو ؟

— إي يا مولاي ... مجيدو ... مجيدو ! ألا تعرف الفارس

أحميس الذي رفعته إلى رتبة قائد ؟ هو أنا ! وهاتان صاحباي :

وبعد شهر واحد ليست البلاد زخرفها وازينت واحتفلت

بزفاف صاحبي الجلالة .

دريني خمبنة

في أصول الأدب

للاستاذ احمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على أبحاث
تحليلية طريفة في الأدب العربي وتاريخه . منها تاريخ
الأدب وحظ العرب منه . العوامل المؤثرة في الأدب .
أثر الحضارة العربية في العلم والعالم تاريخ حياة ألف ليلة
وليلة وهو أوفى بحث كتب في هذا الموضوع إلى اليوم .
ثم قواعد تفصيلية للرواية التمثيلية الخ ...

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثنائه ١٢ قرشا

اختفاء عروسه ... أو أيكونا على الأقل معينين له على تحمل
الصدمة ...

وقد سألهما جلالتها عنها حين لقيهما فكلمتا عنه الأمر ، لتتم
للبلاء أفراحها ؛ واعتزما ألا يقولوا له شيئًا حتى يستقر في
عاصمة ملكه

— وكم حدث عزيز مصر نفسه أنه كان أحجى بحتاسو
لو خرجت إلى الحدود للقاءه ، كما خرج نائبه وكبير الكهنة
وكبراء الدولة

لكنه مع ذلك تجلد واصطبر ...

ووصل إلى طيبة ... ولكن حتاسو لم تسرع للقاءه ، فاذا
جزي ؟ ! وبدلاً من أن تذهب حتاسو إلى قصر الملك لتهنئه ،
فقد ذهبت أمها الواهية المتداعية . فا إن وقت عيناه عليها
حتى سألهما :

— ماذا ؟ أين حتاسو ؟ ؟

فتبسمت الأم المذهولة وقالت :

— في سريرها يا مولاي !

— في سريرها ؟ أمي مريضة ؟

— أجل يا مولاي

ونظر نائب الملك إلى كبير الكهنة ثم راح يسر إليه :
« يا الآلهة ! إن تي وفيه للملك مخلصه ... إنها تأتي أن تكون
أول من يبلغ الملك نبأ اختفاء عروسه ! ! »
قال الملك :

— إذن نمضي نحن فنراها

ودخل صاحب الجلالة غرفة حتاسو ، فوجدها طريحة
الفراش ، وقد ربطت نغدها وذراعها بأربطة وضادات ...
وكانت تنفط في سبات عميق ، وكان وجهها مع ذلك مشرقاً جميلاً
ساحراً كمادته ... ولم يملك تحتبس إلا أن ينتحى فيطبع قبلة
اللقاء على فم عروسه ...

واتنفضت حتاسو من سحر القبلة المزينة ، ولما فتحت